● الباب الثانى

□ المدرسة (المافيا) والأساتذة (آل كابونى وكارلوس)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مجتمع المافيا

* * كان تناول عصابات «المافيا» الإيطالية بالدراسة، وعرضها على النظر الاجتماعى والتاريخى، جزءًا من الثقافة التاريخية العلمية الإيطالية، وما فتئا. ولم ينفك التناول والعرض هذان وجهًا بارزًا من الثقافة السياسية فى إيطاليا، وهما لم يقتصرا على المقالات الاجتماعية والتاريخية والسياسية، السيارة (فى الصحافة) أو الجامعية، فحلا على الرحب والسعة فى الأدب الإيطالى، وفى السينما. وكان اسما «فرناند وشاشا»، و«ب. روسى» علمين على تناول الفنيين هذه الواقعة.

ويقال: إن سبب التسمية؛ «مافيا»، يعود إلى البدايات الأولى حين شرع المافيوزو الأوائل يرهبون الناس بأعمالهم الإجرامية.. أحدهم اقترب بدراجته من سيدة وطفلتها، ومد ذراعه فطوّق الطفلة، فى حين الأم مأخوذة من هول المفاجأة والصدمة، وأسرع بالدراجة، فلما تمالكت الأم نفسها، أسرعت تهرول خلفه وتستغيث بالمارة: «ما.. فى، مافى» أى: - «ابنتى.. ابنتى»، ومنذ ذلك الوقت صار هذا الاسم هو الشائع عن هذه العصابات.

ورجل المافيا يعيش فيها، أو يلابسها ملابسة الواحد جلده وإهابه؛ فالمافيا قائمة قيام العائلة والأسرة والضيعة والحى، ولا يرى رجلها غضاضة فى كونه منها على نحو ما لايرى غضاضة فى حمله اسم عائلته، وفى انتسابه إلى بلدته أو حيه. وهو يسبغ إلى نسبته إلى العصبة، أى إلى النخبة، صفة «الشرف»،

فيتسمى باسم «الشريف»، أو «رجل الشرف» وصاحبه. وأمارة شرفه تقيده بدستور صارم، يقضى فى علاقات أمثاله وأصحابه بعضهم ببعض، وتسليط الموت على منتهك أوامر هذا الدستور، وعلى أهله الأقرب؛ لذا يحسب «رجل الشرف» العادى، أو كان يحسب إلى وقت غير بعيد ـ إذا صدق أحد «كبار» النادمين والراجعين فى تعصبهم، توماسو بوسكيتا ـ، أن الجمهور فاسد وسفيه، وأن المافيا هى بقية الناس الصالحين، وهو من هذه البقية. وليست السرية إلا من فرائض رعاية الفضيلة المضطهدة والمنتهكة، وهى من شرائط إصلاح العالم الفاسد.

وليس هذا الانقلاب فى التقويم، وفى المعايير، إلا صدى الحال، التى يشخصها الروائى الصقلى نفسه، «فرناندو شاشا»، قبيل وفاته قبل نيف ونصف عقد؛ فهو زعم أن رجال المافيا، على ما هم عليه، لو تقلبوا فى مجتمع مستقر على هيئة ونظم، لما تخطوا كثيرًا مرتبة الموجين بأعمال التنفيذ، والمأمورين بها، ولو لابسوا مجتمعًا فى طور النشوء ومتغيرًا لما قدروا على المنافسة الصريحة ولانزووا فى الهامش، أو تولوا إدارة أعمال صغيرة. أما حظهم فى ارتقاء ذرى القوة، وفى التربع فيها، فلا يسنح لهم ولأمثالهم إلا «فى مجتمع ليس مجتمعًا» ومقيم على حاله السالبة هذه. ووضع الروائى والمعلق كلامه على إيطاليا، المتوسطية، مثل: كورسيكا، ومثل: بلدان ومجتمعات أخرى تشبهها.

*** العصبية الجديدة:**

تحقق سيرة بوسكيتا ـ أحد عرابى المافيا، ومن أوائل الوشاة بها، وكبير شهود الاتهام والحق العام فى دعوة باليرمو (أو ما عرف بـ «المحاكمة العظمى»)، التى أدت إلى أحكام قاسية فى قيادات العصابة واغتيال قاضييها الكبيرين جيوفانى فالكونى، وباولو بورسلينو. وكان شاشا ـ فى مقالة صحافية تعود إلى ربيع ١٩٨٦ ـ قد شكك فى صدق بوسكيتا هذا، وطعن فى سكوته عن أسماء السياسيين، الذين كانوا واسطة المافيا إلى الدولة، وسكوته عن أفعال المافيا «القديمة»، المافيا قبل تجارة المخدرات والتزامات الدولة الكبيرة. ولكن اعترافات

بوسكيتا أمام القضاء لم تقتصر على تلك التى أدلى بها قبل عام ١٩٩١، يوم كان سجين الشرطة الفيدرالية الأميركية، وكانت هذه سجينة الحرب الباردة. فلم تكد الحرب الباردة تطوى صفحتها؛ حتى ارتفعت الرعاية الأميركية عن «الديموقراطية المسيحية» الإيطالية؛ فعاد بوسكيتا إلى إيطاليا ليملأ باعترافات دقيقة ومفصلة، تناولت الأسماء والوقائع التى تركتها اعترافاته السابقة غفلاً، وحملت روائى «جثث لذيذة» على التشكك فيه.. عاد ليملأ صفحات بقيت «بيضاء».

يذهب «بينو آرلاكشى»، كاتب اعترافات بوسكيتا، إلى أن جديد هذه الاعترافات الأول هو فى وصفها نواة المافيا، «كوسا نوسترا»، الجمعية السرية، التى ترقى ولادتها إلى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر بصقلية الغربية، والمتحدرة من حركة سياسية قومية وتحررية هى «الكاربوناري». وتقوم هذه الجمعية على شعائر تسليك (إدخال فى السلك)، وعلى نظم داخلية، ومعايير انتخاب وعمل صارمة ودقيقة. وأحاطت المنظمة هذه بالرعاية عوامل كثيرة أبرزها: تواطؤ السياسيين، و«ثقافة الاحترام والحماية»، وتعامى الهيئات السياسية والقضائية الديموقراطية عن المنظمة. وتسليمها بالعجز عن محاربتها وإماطة اللثام عنها. فلما خرج أحد رجال «عائلات» المافيا، ليوناردو فيتالى فى عام ١٩٧٣، عن حكم الصمت وحده، وروى للمحققين ما عرفه وخبره من أحوال الجمعية السرية، ظن فيه المحققون الخبل واختراع الأخبار، وسجنوه فى مصح عقلى، وهذا بخلاف رواية خليفة فيتالى اليوم. يزعم بوسكيتا أن «شيوخ» (قدماء) المافيا الذين أدبوه بآدابها، وسلكوه بسننها، حين كان شابًّا يافعًا لم يبلغ العشرين بعد، علموه أنها نشأت حماية للضعفاء من ظلم الأقوياء، ورعاية لقيم الصداقة والعائلة، وكلمة العهد والذمة والشرف. فصدق الشاب، فى أواخر العقد الخامس، وكانت إيطاليا خارجة لتوها من الحرب الثانية، مزاعم «الشيوخ»، وزاد السر الذى يكتنف المنظمة، ويلف بنيتها وأعضاءها وخططها وعلاقاتها بالسياسة والسلطة، المافيا قوة على قوة. وعلى خلاف ما صارت إليه المنظمة من الاقتصاص من الآباء فى الأولاد، كان يوقع الثأر على الآباء وحدهم؛ فلم يكن يشك أهل المافيا وجماعتها فى تصدر عدالتها عدالة الدولة والمجتمع، وتقدمها عليها.

أما السياسة فكان «الرجال» يتنكبون تعاطيها ويستكفون منه؛ فـ «سياستهم» الوحيدة هى السعى فى مصالحهم الظرفية، إلى تشاركهم فى عصبية صقلية هى رابطتهم الجامعة والقوية. وكانوا هم «الدولة» التى يقرون لها بالطاعة، بخلاف الدولة «الأخرى»، غرض سخريتهم وتندرهم؛ فكان حقًّا لهم تعاطى شؤون الناس، والنظر فيها، والبت.

والناس هم من يطلبون إليهم ذلك، ويقيمونهم أوصياء عليهم. ولقاء الاضطلاع بهذه الأعباء لا يترفع الشرفاء ولا يتشاوفون على الناس. ويذكر بوسكيتا يوم زار أحد كبار رجال المافيا، جينكو روسو، من بلدة موسوميلى بولاية أجريجنتى. فوجده نائمًا، وفى داره بغل. وبينما كان روسو يكلم زائره الفتى، ألحت عليه حاجة، فقضاها على مرأى من الزائر. ويصبح هذا العمل مثالاً على حال صقلية، وعلاقات أهلها بعضهم ببعض: فقانونهم تقليد متوارث وخالٍ من التعقيد والتركيب، و«قضاؤهم» سريع ولا يستأنف.

وكان لبوسكيتا ولدان وهو فى العشرين من عمره.. وعلى خلاف أصحابه و«إخوانه»، وأهل العصبة إخوان، حرص على ألا ينشئ أولاده التنشئة التى تفضى بهم إلى الدخول فى سلكها (تسليكهم)، واقتفاء خطو أبيهم؛ فأولاده نشأوا مثل سائر أولاد الناس، فدرسوا، وتعلموا مهنًا اختاروها، وتزوجوا، وهو يريد أن يستدل لهذا على تبكيره فى التحفظ عن المافيا، ومنها، وعلى اجتنابه مماشاتها فى الأمور الأساسية، مثل: الأولاد وتربيتهم. وهو تحاشى، على المثال نفسه وعلى خلاف مثال أصحابه، مخالطة «الإخوان» وملازمتهم ليل نهار، على ما كانوا يصنعون فيما بينهم. فاقتصرت مخالطته على اثنين، هما: بيبو كالو وسلفاتورى جريكو، والسبب فى تحفظ الشاب المبكر هو بعض وجوه قانون العصبة وآدابها. فإذا أجمع ثلاثة أو أربعة منها على زعم، مهما كان هذا الزعم أخرق، مثل: نسبة عيب إلى أقرباء أحد «إخوانهم»، أو تهمته بالوقوع فى غرام زوجة مفوض الشرطة، من غير قرينة أو دليل أو معرفة بالأقرباء أو بزوجة المفوض، ذهب الزعم بمكانة «الأخ»، وقوضها إلى غير رجعة. فشغل رجل

العصابة الشاغل هو طواف الشبهات والشكوك به؛ فإذا وقعت عليه شبهة، وقيض لها إجماع عدد قليل، لم يطلب أحد دليلاً أو تحقيقًا للشبهة. وما يصح فى رجل العصابة يصح فى أقربائه وأهله، وهو ضامنهم بإزاء أصحابه، وعليه تبعة أفعالهم وصنيعهم.

ولم يكن الشاب العشرينى يطيق وطأة هذه الحال، إلا على رغمه. لكنه كان، من وجه آخر، مواطنًا مثل سائر «مواطنى العالم» العاديين، ومدركًا أن العالم لا يدور حول «كوسا نوسترا» وقسمها، ولا ينتهى حيث تنتهى. إلى ذلك، قلما يهاجر أهل المافيا أو يتركون إقليمهم وديرتهم؛ فهم، على خلافه هو، يلتصقون بحيهم أو شارعهم أو مدينتهم، ولا يغادرون «جزيرتهم» إلى «إيطاليا» القريبة إلا بشق النفس، ومضطرين.

ولا يعود تحفظ توماسو بوسكيتا إلى سمة من سمات سيرته وترجمته؛ فهو أخير سبعة عشر ولدًا، ولدوا لأبوين من باليرمو. وفى باليرمو، لم يبق منهم على قيد الحياة إلا عشرة. وهذا شأن كثير من العائلات الباليرمية. وبكر، شأن أقرانه، وأصحابه فى مباشرة حياة جنسية لا قيد عليها، على الرغم من غلبة الكثلكة والكنيسة الكاثوليكية على اعتقاد الناس، من الأهل، فكان فى الرابعة عشرة، معشوقَ امرأة بالغة، وتزوج فى السابعة عشرة، وكان أبًا فى الثامنة عشرة. وفى الأثناء كان أبوه يدير معملاً متواضعًا يصنع المرايا، ويعمل فيه خمسة عشر عاملاً. وتعود علاقات الفتى بوسكيتا الأولى بالجنوح والجانحين إلى هذا الوقت. فكان يسرق، مع أولاد وفتيان فى سنه، ما كانت سرقته متاحة من «الحلفاء» الألمان، ويبيعه إما إلى الناس من غير وسيط أو فى السوق السوداء.

وهو يزعم أنه كان يضمر للألمان، وقد تربعوا أسيادًا على صقلية، حقدًا شديدًا حمله فى ١٩٤٣ ـ وكان فى الخامسة عشرة ـ على الانخراط فى المقاومة الأهلية والمحلية، وأهل نابولى نواتها. وكان انخراطه ذريعته إلى ترك البيت من غير إخطار أهله بوجهته. فلما عاد، بعد ثلاثة أشهر، دخل باليرمو مزهوًا

بالنصر، وبأفعاله «المجيدة»، وجلها أعمال تخريب وكمائن. وفى أثناء الأشهر الثلاثة هذه تعرف إلى بعض رجال المافيا، الذين تعاونوا والحلفاء؛ وساقهم إلى التعاون انتهاج الفاشية الموسولينية سياسة متشددة بإزاء المافيا، وسعيها فى سحقها على طريقة فصائل المافيا بعضها بإزاء بعض، على حسب ما لاحظ شاشا، فكان ذلك ابتداء صلة الشاب بالمنظمة.

وغداة الحرب، فى الأعوام ١٩٤٦ إلى ١٩٤٨ قدم الشاب إلى نواة المنظمة، وعرفه بها، زميلاً له التقاه فى أثناء عمله فى معمل أبيه، كان حرفيًّا مثله ويعمل فى دهان الأثاث؛ إذ لا يدخل الشاب الحدث المنظمة إلا من طريق وسيط سبقه إليها، وهذا شأن التسليك الحزبى السرى، أمنيًّا عسكريًّا أو عقائديًّا. وينبغى للوسيط هذا، على ما يجب على الناشط الجديد، أن يكون جزءًا من «عائلة»؛ فالخلية الأساس فى نظام المافيا هى «العائلة»، وتنتسب «العائلة» إلى موضع، هو بلدة أو قرية أو حى أهلى؛ فيقال: أهل كورليونى، عائلة «عراب» فرنسيس فورد كوبولا.

فكان وسيط توماسو، أو شفيعه من عائلة بورتانوويفا (البوابة الجديدة) إحدى «سكك» باليرمو، وعمدت «العائلة» إلى التقصى عن المرشح، وعن عائلته الفعلية، على ما يقول وينبه. ويتناول التقصى أحوال العائلة بما هى عائلة، من مثل الخيانة الزوجية، وتلطيخ الشرف، والتطاول على الكرامة. ويتناول المصطلح العائلى، حقيقة وفعلاً، مايتعلق بالمافيا نفسها وبرجالها؛ فالشرف هو «شرف» الرجل فيما يعود إلى رجال المافيا أنفسهم، وليس إلى غيرهم.

ويدور التقصى على سوابق رابطة ربطت عائلة المرشح، والمرشح نفسه، بالقضاء وجهازه وهيئته، أو بالشرطة، وما ينبغى أن يبرأ منه المرشح، وتبرأ عائلته منه هو هذا؛ أى الروابط بالدولة العامة، أو العمومية، وبأجهزتها التى تتعالى عن روابط العصب والجوار والحلف. والشرف والكرامة والعزة هى، فى

هذا المعرض، من أسماء مدافعة الدولة والقوانين والحقوق العامة، التى تقوم بالدولة، وتضطلع هذه بإجرائها وإنفاذها. واستقبل العضو الجديد فى العائلة بعد أدائه القسم وقراءة «شرائع» الجماعة وأحكام عملها عليه؛ وإذا فرغ من القسم والتلاوة، أخذ وسيطه وعرابه إبرة، شك بها طرف إصبعه كناية عن أخوة الدم الممتزج)، ثم أحرق صورة دينية «مقدسة» (كناية عن ابتداء رابطة جديدة تحل محل الرابطة القديمة). والمراسيم الثلاثة: القسم والإبرة وإحراق الصورة، تتولى إرساء الوافد على روابط جديدة تحل محل الروابط القديمة الجوهرية وهى القرابة والدين والسن (طائفة الحرفة و«العمل» أو الجماعة السياسية التى تستن قواعد اجتماعها وتعصبها عصبة أو عصابة).

فبعد هذه الشعائر «يولد» رجل المنظمة ولادة جديدة، ويدين للجماعة التى «ولدته» بالأواصر الإرادية والطبيعية، التى كان يصدر عنها قبل تسليكه. وائتلفت «العائلة» من خمسة وعشرين شخصا كانوًا من طبقات اجتماعية مختلفة، فكان فيهم صاحب المهنة الحرة والحرفى المستقل والتاجر والعامل، وإن غلب الوضعاء والعاميون. وتصدر الخلية، أو الفرقة، مقاولاً انتخب من بعد مساعدًا لرئيس بلدية باليرمو (جويزيبى ترابانى)، ومحام انتخب نائبًا فى البرلمان الإيطالى فى عام ١٩٤٨ (توماسو ماركيسانو)، والطبيب نينو ماجيورى، وأحد وجهاء الانفصاليين، إندريا آبريلى.

أما الرئاسة، أو القيادة فعادت إلى رجل خامس هو جايتانو فيليبونى، وهو مزارع متواضع يملك أرضًا صغيرة يزرع فيها الباذنجان والقرنبيط، ويبيع محصوله منها، ويتنزه، شأن عامة الناس، فى سيارة النقل العام. ورئيس العائلة هو من ينوب عنها لدى النواة القيادية، «كوسا نوسترا» هو لسان النواة القيادية ويدها فى العائلة». ويرعى الرئيس ـ على ما لاحظ بوسكيتا سريعًا ـ عصبية «العائلة» وتقديمها روابطها وأواصرها على كل ما عداها من روابط وأواصر؛ فالعصابة عصبية جديدة ومتماسكة، تتلافى «ضعف» العصبيات السائرة والمشتركة، وتنتصر

لأفرادها وأصحابها بإزاء السلطات العامة. وعليه، تصدر مثل هذه الجماعات عن مجتمعات مقوضة الأركان، وتحول دون نهوضها من أنقاضها؛ فهى «تجدد إنتاج» مثل هذه المجتمعات النقيض، على ما يقول بعض مجتهدى فقهائنا ومجدديهم لغةً وفقهًا.

* فى غضون العقود الأربعة التالية، أى إلى عام ١٩٨٤ على وجه الدقة، وهو العام الذى خرج فيه توماسو بوسكيتا على المافيا، و«انفصل» على ما يقول فى نفسه، اقتصر عدد الأعضاء الجدد ـ والداخلين فى «عائلة» بورتانوييفا على نحو ثلاثين عضوًا. ويرد الأمر إلى تشدد معايير القبول، وإلى قسوة التقصى عن المرشحين وامتحان معدنهم، وهذا من القرائن على «نخبوية» المافيا. والمافيا توجب «نخبويتها» إيجابًا، شأن الجماعات السياسية والثقافية؛ فتعمد إلى إثبات معايير انتخاب متعسفة، وتوكل إلى «العائلات» اصطفاء من تراه كفؤًا لعضويتها، والانتساب إليها. والثلاثون الجدد فى غضون أربعة عقود كانوا نظير من هاجروا أو قضوا، وخلفوا محال شاغرة فملأها خلفاؤهم.

ويزعم بوسكيتا أن موارد رجال المافيا و«عائلاتها» الصقلية طوال عقدين، وبعض العقد من السنوات كانت شحيحة. فالأثرياء كان من العسير «مصادرة بعض أموالهم. وليس السبب فى عسر الأمر هو العفة، بل حماية» «عائلات» أخرى لهم. ولم تكن تجارة المخدرات «ولدت» بعد، بما هى سلعة رابحة. والمناقصات والأشغال العامة، ومرافق «إعمار» صقلية وبنائها، وتحولت هذه مع مطلع العقد الثامن (السبعينيات) إلى سوق عظيمة، وأوقفتها المافيا حكرًا على نفسها و«عائلاتها».

ومن الأدلة على فقر المافيا القديمة أو التقليدية، بحسب الراوى، وبالأحرى من الأدلة على استحالة تحصيلها الثراء يومذاك، عزلة «عائلاتها» بعضها عن بعض، وانقطاعها من أطوار السوق الرأسمالية ودوائرها، الآخذة فى الاتساع.

فهو يزعم أن إحدى أكبر الحوادث التى هزت الحياة السياسية الإيطالية غداة الحرب، وهى إقدام أحد قادة المافيا، سلفاتورى جوليلياتو («بطل» فيلم روزى الشهير) فى أول مايو ١٩٤٧، على فتح النار على تظاهرة شيوعية فى عيد العمال، وقتل أحد عشر متظاهرًا بادر إليها، أى الحادثة، جوليلياتو من تلقاء نفسه. فلم تدر العائلة، الباليرمية بما كان يجرى فى «عائلة» بارتينيكو، عائلة جوليليانو، والبلدة الثانية قائمة على بعد عشرين كلم من باليرمو. ولم تغتل المنظمة جوليليانو، بل اغتاله بعض ناشطيها. لكنها هى التى ردت على قتله بقتل قاتليه، وانتظرت عشرة أعوام تامة قبل قتل آخر، دست له السم فى قطعة سكر أذابها فى الشاى، وليس فى الشاى نفسه. الحادثة نبهت على علاقات المافيا السياسية، وعلى دورها السياسى الفاعل؛ فآذنت بابتداء التنسيق بين رؤساء العائلات فى مطلع العام ١٩٥٠، وبنشأة «اللجنة»، التى ربما كان يصح وصفها بـ «المركزية»، لولا سبق الأحزاب الشيوعية، وقبلها الحركة العمالية الفرنسية، إلى التسمية. ومثل هذا البنيان، المفكك الأجزاء، غير قادر على الاستفادة من فرص المصادرة السانحة فى إيطاليا آنذاك.

وحالت دون انتهاز المافيا الفرص السانحة نواة خلقية صارمة أقامت المافيا، الإيطالية، الصقلية، على التقيد بها، وأدى تحلل المافيا الأميركية منها إلى القطيعة بين الاثنتين، فى مطلع ١٩٥٠ على زعم بوسكيتا، وتصدرها النهى عن الربا، والنهى عن الطلاق. فإلى مطلع الثمانينيات كان لا يحل بـ «رجل شرف» صقلى أن يقرض «أخاً» أو غريبًا، مالاً ويتقاضى فائدة، وهذا على خلاف آداب الأميركيين. وكان كبار قادة المافيا، مثل: فانشينزو ريمى، لا يعرفون نساء غير زوجاتهم؛ فإذا شذ بعض «الرجال» عن هذه السنة، وكان هذا شأن بوسكيتا، اشتهر أمره، وظنت فيه الظنون. وهو يعزو التمسك بهذه السنن والمثالات إلى فقر «ثقافة» أهل المافيا ورجالها، وإلى تكأكؤهم بعضهم على بعض؛ فهم

لا يفارقون بعضهم بعضًا، ولا يعرفون أناسًا عاديين. فإذا اجتمعوا قضوا الساعات الطوال فى طبق واحد من الطعام هو اللحم المشوى، وفى الشراب المعتدل والمزاح المكرور. وإذا روحوا عن أنفسهم شاهدوا شريطًا سينمائيًّا يدور حول العصابات، وعلى الرغم من نسبتهم الإيطالية، فهم يجهلون، على زعم العراب السابق، الغناء الإيطالى السائر، وهو ضرب من الأوبرا «الخفيفة» و«الشعبية».

ويعزو الباليرمى إنشاء «اللجنة» الصقلية الواحدة والجامعة إلى المثال الأميركى؛ فالمافيا الأميركية كانت، فى العقد السادس، مرتبة على مراتب متماسكة وصارمة، على ما هى الحال فى القوات المسلحة. وكانت علاقة «الجندى» تقتصر على خليته المؤلفة من عشرة، وكان رئيس العشرة أو آمرهم، ينقل إلى «شيخ العائلة» مسائل الخلايا وشجونها. فلم يزد عدد «عائلات» «نيويورك» ـ والمدينة كانت تعد فوق عدد سكان صقلية كلها ـ عن عشر، على حين كانت خمسون «عائلة» تتنازع موارد باليرمو وناحيتها القريبة. وتولى أحد كبار زعماء المافيا الأميركية. جو بونانو، إقناع الصقليين بجدوى «اللجنة» ومنافعها، وكانت اللجنة الأميركية قد أنشئت قبل ربع قرن، علاجًا لحرب «أهلية» عصفت بـ «عائلات» المافيا الإيطالية، وأودت بكثيرين من جنودها. واتفق مسعى الزعيم الأميركى وبعض أحوال المنظمة الإيطالية غداة حادثة سلفاتورى جوليانو؛ فهى كذلك فشا فيها القتل، وكثرت أحكام رؤساء «العائلات» بالموت فى ناشطيها وأعضائها، فأفلت العنف الداخلى من عقاله. ولم يكن فى وسع القادة المحليين، من «شيوخ العائلات» المتورطين فى أحكام القتل وتنفيذها، عقل العنف وضبطه. فلما اقترح الأميركيون إنشاء «اللجنة»، بدأ إيكال البت فى المنازعات إلى هيئة بعيدة، لم يعرف عن أعضائها الضلوع فى الفتن العائلية والمحلية، مخرجًا من العنف ناجعًا.

ولكن النازع الصقلى القوى والتقليدى إلى الاستقلال العائلى لم يطو، فكان لكل ناحية صقلية «لجنتها» القائمة برأسها، على خلاف «اللجنة» النيويوركية الأميركية، التى تربعت فى صدارة «عائلات» الولايات المتحدة كلها. وجمعت «لجنة» الناحية ممثلاً واحدًا عن كل ثلاث «عائلات»، فكان فى «اللجنة» الواحدة نحو ستة عشر نائبًا انتدبتهم ثمان وأربعون «عائلة» عنها، وأقامت المافيا الإيطالية على تمثيلها المجزأ والعائلى هذا إلى العام ١٩٧٥، وقدمت الصيغة الجديدة تمثيل «العائلات» بالجنود العاديين، عوض انتداب الوجهاء والأعيان، تلافيًا لاجتماع النفوذ فى أيد قليلة ومتمرسة، فكان «شيخ مشايخ عائلات» المافيا الإيطالية، فى العقد السابع والعقد الثامن، فلنشينزو ريمى، وهو مزارع صغير، يكاد لا يعرف القراءة والكتابة. ولكن ذكاءه «الفلسفى»، على قول بوسكيتا، رفعه إلى مرتبة الزعيم المعنوى من غير منازع، وهذه المرتبة المعنوية من سمات الرئاسة التقليدية والعرفية، وعلى خلاف الرئاسة المحدثة، أو البيروقراطية على قول الألمانى ماكس فيبر.

وبعد تردد وتحفظ من قبل «شعب» المافيا، تولت اللجنة البت بتًّا قاطعًا، ومن غير طريق مراجعة، فى المسائل التى يعود إليها البت فيها. وحاول «الإصلاحيون» الجمع بين نسب الدم والقرابة الفعلية والنسب «العائلى»، الصناعى فى إطار المنظمة.. فاقترحوا توحيد النسبة، وجمع من ينتمون إلى أسرة واحدة فى «عائلة» واحدة. لكن «الإصلاحيين» أنفسهم عادوا عن اقتراحهم ومحاولتهم، إذ انتبهوا إلى أن اجتماع الأخوة وبنى الأعمام وأولاد الأخوة والأخوات فى خلية واحدة، أو «عائلة» واحدة، يجعلهم الكثرة حكمًا، فيستقلون بشؤون «العائلة»، ويدبرونها بمنأى من «اللجنة». ويخالف هذا توجه «الإصلاح» الوجهة المبتغاة، وهى وجهة الجمع والمركزة. ومثل هذا الترجح بين الروابط الطبيعية والروابط الإدارية والبيروقراطية أمر شائع فى الجماعات، التى تستجيب التحديث، والتجديد ليس بسائق داخلى ومن تلقاء نفسها، بل بسائق خارجى ومضطرة.

وفى الأثناء، أى فى النصف الأول من العقد السابع، قتل أنريكو ماتيى «رئيس الشركة الوطنية (الإيطالية) للمحروقات»، وهى شركة نفط كبيرة ومنافسة لشركات النفط الأميركية، يوم كانت هذه هى الآمرة فى شؤون التنقيب والتسويق من غير منازع. فكان قتل ماتيى أول قرار اتخذته النواة الجديدة ونفذته، ودعاها إلى اتخاذ طلب المنظمة الأميركية ورغبتها. بل إن الطلب، على ما يروى بوسكيتا، كان مصدره آنجيلو برونو من «عائلة» فيلادلفيا، ويرجح أن السبب فيه هو ضيق الشركات الأميركية بسياسة الشركة الوطنية (الإيطالية) النفطية فى الشرق الأوسط، وكان ماتينى الآمر الناهى فى سياسة شركة القطاع العام الإيطالى؛ فتوسطت المافيا الأميركية لدى «شقيقتها» الإيطالية، وقبلت هذه بالمهمة. فأوكلت الأمر إلى فريق من الشبان، زينوا للرئيس المغامر رحلة صيد، وكان الصيد هواه، وعطلوا الطائرة الخاصة التى كانت تقله، وأبعدوا حراسه. ولما انتهى علم بعض هذا إلى صحافى باليرمى، كان يحقق فى القضية بعد ثمانى سنوات على مقتل ماتيى فى سنة ١٩٧٠، خطف الصحافى ولم يعرف عنه شىء منذ ذاك. ويسمى العراب السابق ثلاثة رجال تولوا الجريمتين، هم: ستيفانو بونتادى وجايتانو بادالامانتى ولوشيانو لوجيو. وكان الثلاثة على رأس «كوسا نوسترا».

* * تتبادل منظمات الجريمة الكبيرة المهمات والخدمات. ومثل هذا «الالتزام» والتقسيم للأعمال يشتت التشخيص والتحقيق ويبددهما، على نحو ما تصنع عمداً بعض المنظمات السياسية والأمنية والعسكرية المؤتلفة فى «أميات»، سياسية أم دينية، يتصل بعضها بأجهزة دول من طراز خاص. وكانت منظمات الجريمة مثالاً احتذت عليه المنظمات والأجهزة السياسية والأمنية.

كذلك لجأت «كوسا نوسترا» إلى تجزئة المعلومات، فتسترت على جزء منها، وأفشت بعضها الآخر؛ حيث لا يستفاد من إفشائه؛ فهى منظمة سرية، يلفها الغموض، بإزاء الخارج والداخل على حد واحد. وتتعمد نواتها القيادية

الحيلولة دون تداخل الأخبار الدقيقة والمحققة داخل الجهاز، بل تتعمد «التضليل». ومن الوسائل التى تتوسل بها المافيا المنظمة، بعد أن خلفت العمل الحرفى إلى الإتقان العقلانى، وتخصيص وسائط الاتصال والعلاقات بالطاقم السياسى، أى أن الوسيط بين المنظمة وبين رجل السياسة البارز هو واحد بعينه، ولا يشاركه غيره فى توسطه وعلاقته. ويتيح هذا الاختصاص للمنظمة، وللسياسى، قدرًا من الخفاء والظل لا غنى للاثنين عنه. فيسعهما، فى الورطة إذا وقعت أو وقعا فيها، التنصل من العلاقة. ويجزئ الاختصاص الأخبار والمعلومات، ويحصن صاحبه بإزاء أقرانه، ويحول دون استحواذ «مركز» واحد على الأخبار والتخطيط.

ويختصر «بوسكيتا» أحوال الكلام والتصريح والتلميح فى «دولة» المافيا بقوله: «إن كوسا نوسترا هى دولة المقالات المنتقصة». وهى، كذلك، «دولة الأقنعة والأطياف». ولعل هذه الحال هى الباعث على ضرب من «الصحافة»، والتعليق الصحافى والإخبارى، يروج فى المجتمعات التى تتأدب جماعاتها وسلطاتها بآداب المافيا؛ فتشيع فيها صحافة النميمة والنقل الموارب عن مصادر خفية، تتبادل بواسطة مخبرين غير معلنين «الرسائل»، والغمز والمناورة على نحو ما تتبادل الرسائل بوسائط أخرى، مثل: عرقلة إنفاذ القررات، والحملات على الموالى والأتباع.. إلخ. وتبعث هذه الحال على التحليل البنيوى أو البنيانى: فتحمل كل شاردة وواردة وكل دقيقة من الدقائق على دور ومعنى وإشارة. فينصح بوسكيتا القضاء وقوى الأمن على سياسة العصابات المجزأة بألا يذاع خبر مصادرة المخدرات المهربة. فإذا لم يذع الخبر جهلت العصابة صاحبة الشحنة مصيرها، وخبطت فى لجة التكهنات ودواماتها، وربما اتهم بعضهم بعضًا وارتاب فى تستره على مصير المال والثمن واقتص منه. ففى عالم العصابات ودنياها لايثق أحد بكلام أحد، ولا يفترض فى المرء محضه «أخاه» الثقة.

وكان هذا من دواعى العودة عن «الإصلاح العائلى» أو التنظيمى، على ما تقدم: ذلك أن اجتماع رابطة «العمل» إلى رابطة الدم قمين بإغلاق باب الخلية فى وجه القيادة، وفى وجه كل خارج (على ما يحصل فى الفرق الإرهابية المؤلفة من الأخوة وأبناء العمومة والخؤولة) وهو من دواعى العلاقات «العمومية» السياسية والأمنية؛ فالحض على استقاء الأخبار والآراء من مصادر مأذونة، تنفرد بالمترددين عليها، وتتوسل بهم إلى إذاعة رأيها، يضمن للمصادر هذه، على شاكلة قيادات المافيا، الحصانة من التناقض ومن السفور عن وجهها وسياستها، ويزرع الحيرة فى صفوف من تخشى معارضتهم أو مقاومتهم، أو يخشى ضعف ولائهم.

والحق أن روابط المافيا الإيطالية بالسياسة والسياسيين فصل قائم بذاته؛ فيروى بوسكيتا أن أشرس حملة شنتها الدولة على المافيا، قبل حملة القضاء الأخيرة التى اتفقت مع أواخر الحرب الباردة، كانت الدولة الفاشية، الموسولينية، مصدرها. وتعرف الحملة باسم الرجل الذى فوّض إليه موسولينى «الإثخان» فى صقلية، ويدعى موري، غداة زيارته إليها، وسماعه أحد زعماء المافيا يستقبله بقوله: أيها الدوتشه (الزعيم)، أنت الآمر بروما وأنا الآمر هنا! فأمر الدوتشه موري هذا، رجله، باستئصال دولة المافيا، وإرهاب شعبها؛ فتصدت الدولة الإرهابية لمنظمة الجريمة، على قول فرناندو شاشا، وتوسلت إلى استئصالها بوسائلها، أى بالإرهاب.

وبقى من حملة موري، غداة الحرب الثانية، تباغض تبادلته المافيا والحزب الفاشى (وهو «الحزب الجمهورى» إلى حين وراثة «الحلف الوطنى» بقيادة جيانفرنكو فينى) طوال الجمهورية (الإيطالية) الأولى. وشارك الحزب الشيوعى الحزبى الفاشى البغضاء والتباعد هذين. وعلى الرغم من الفرق الكبير والعميق بين الحزبين فهما يتشاركان، من وجه أو آخر، فى طلبهما من محازبيهما ولاء لايشاطر الحزب فيه جهة غيره. وهذا بخلاف الأحزاب الأخرى، مثل: حزب

الديموقراطية المسيحية الذى لابس العلاقات الأهلية ملابسة حميمة، واستعمل العصبيات العائلية والمحلية فى الانتخابات البلدية والانتخابات النيابية استعمالاً غير متحفظ، أو مثل: الحزب الاشتراكى. ويقول بوسكيتا فى العلاقة بين المافيا والحزب الديموقراطى المسيحى: إنها أشبه بالعلاقة بين هيئتين أو مؤسستين قائمتين ومستقرتين، على الرغم من أن الحزب يتربع على رأس الدولة.

وهو يعزو حلفهما إلى تشاركهما فى مناهضة الشيوعية، وحزبها الإيطالى، ومحاربتها بعد مناهضة الفاشية ومحاربتها؛ فالمافيا، على قول أحد قادتها السابقين، قوية الميل إلى أميركا، أى إلى الولايات المتحدة، وهو ميل يغتذى من الروابط العائلية المتجددة. فليس ثمة عائلة صقلية واحدة إلا ولها قرابة، بعيدة أو قريبة، فى العالم الجديد. ولم يؤد التباين الثقافى «المتعاظم» إلى القطيعة؛ فالمافيا الأميركية لم تلبث، منذ العقد الخامس، أن أخذت بقيم المجتمع الأميركى، مثل: الفردية والمنافسة وقصر العصبية على «الأعمال» المشتركة. وحملت ناشطيها وأعضاءها على تخليص أمورهم الخاصة بأنفسهم، وهذا يناقض مناقضة صريحة خلقيات العمل الإيطالية، والصقلية على وجه أخص، ولكن «المثاقفة» الاجتماعية العامة كانت أقوى من الروابط العاطفية والشخصية.

ويزعم الراوى أن العداء الذى كنته المافيا، وأظهرته، للفاشيين وللشيوعيين على حد واحد ومشترك، لم يحملها على الاغتيال السياسى، وذلك إلى حين انقلابها، على قوله، من حالها التقليدية و«الشريفة» إلى حالها المحدثة و«الرأسمالية»، فالمحافظ الفاشى، موري، مفوض موسولينى المطلق اليد فى إرهاب الصقليين، توفاه ربه فى فراشه، ولم يتعرض له رجال المافيا بأذى بعد تقاعده من الوظيفة، ولم تغتل المافيا سياسيًّا شيوعيًّا على الرغم من قدرتها.

* * يؤرخ بوسكيتا تحول «كوسا نوسترا» إلى عصابة جريمة لا شرف لها ولا عهد، بمطلع العقد الثامن (السبعينيات)، إبّان استيلاء أهل كورليونى

وحلفائهم على «اللجنة» المركزية، وشيوع تجارة المخدرات وإدرارها الأرباح العظيمة. وعم هذا الصنيع سياسة المافيا الإيطالية فى العامين ١٩٧٥ و ١٩٧٦، وكان العراب الباليرمى فى السجن ـ وهذا من حسن الاتفاق وسعد الطالع، على قول بعض الصوفية؛ فلم تكتف العصابة الآخذة فى التمركز والاجتماع بوصايتها على أسواق الخضار والمسالخ وتجارة السمك وشركات توزيع المياه وأقنية الرى فى باليرمو وصقلية، على ما كانت عليه الحال فى العقدين السادس والسابع، وكان عائد هذه الأنشطة قليلاً ونزرًا. والعائد الوحيد.من الانتساب إلى عصابة «الشرف»، كان التضامن والتآصر والتآخى بوجه الدولة، وقضائها وشرطتها؛ فلم تجر محاكمة جزائية واحدة فى صقلية، فى العقدين، إلا وسبق نظر المحكمة فيها اتصال «رجال الشرف» بالمحلفين، أفرادًا وهيئة حاكمة وقاضية. وكان للترغيب والترهيب أثرهما القاطع والحاسم فى أحكام هيئات المحلفين؛ فلجأ كثيرون من الأهالى إلى المافيا. وكان عليهم لقاء الخدمة التى تسديها إليهم العصابة، أى إحدى «عائلاتها» تسديدها خدمة مماثلة فى آتى الأيام وقابلها، وعلى قدر مستطاع المخدوم ومولى الإنعام والخدمة.

وظهرت علامات الثراء على أهل المافيا الإيطاليين، مع ازدهار تهريب التبغ. فعلى حين كان تهريب خمسمائة صندوق بين نابولى وباليرمو، فى العقد السادس، «عملية» كبيرة، بلغت حمولة المركب فى أواسط العقد الثامن، خمسة وثلاثين ألف صندوق إلى أربعين ألفا. ونجم عن تعاظم الأرباح، وخروجها عن المعهود والمألوف، اضطراب المراتب اضطرابًا شديدًا، عصف بها وأخل باستقراراها. وتوسل قادة المافيا، وقد تغيرت الأحوال والأوقات، إلى إنفاذ الإجراءات الجديدة وتوليها بمهربين محترفين، ورجال عصابات الجريمة، وهم من ناس لم تسبق لهم صلة بالمافيا ولا علاقة؛ فضعفت مراقبة «اللجنة المنخورة بالخلافات والأطماع والحذر على الأعمال». وضعفت خلفيات «رجال الشرف» التقليدية ومراتبهم. فوسع بعض صغار «الجنود» الإنعام على بعض كبار

الأعيان، و«القادة» باقتسام غنيمة «عملية» تهريب كبيرة دبروها واحتالوا لها.

ولما ضيقت الشرطة المالية الخناق على التهريب، وكان ذلك فى ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨، هجمت المافيا على المخدرات، تسويقًا وإنتاجًا وحمايةً. وفى الأثناء كان رجال العصابة، وقادتهم الجدد، اعتادوا البذخ والإسراف، سواء فى الحياة اليومية أو فى السجن؛ فشاعت الرشوة، وعمّت صغار حراس السجن والدركيين والضباط والإداريين والقضاة والنافذين من كل المراتب، وعمّت السرقة، والخوة و«حمى» «العائلات». وصار الخطف لقاء فدية من «صناعة» العصابات الرائجة، إما لحسابها أو لحساب معاقدين يوصون بالخطف ويقطفون ثمرته، وأبيح قتل رجال الدولة.

وكان ابتداء الإباحة العامة فى عام ١٩٧٥: فخطف فارض الخوات كورليو، وقتل العقيد روسو، واغتيل مفوض الشرطة بوريس جويليانو، و«صفى» قادة أهل كورليونى أولاد العم سالفو (والثلاثة من «عائلة» مافيا)، وتوج هذا المنعطف باغتيال الجنرال ديلا كييزا (١٩٨٢) والقاضى شنيتشى (١٩٨٣). ويعزو بوسكيتا اغتيال ديلا كييزا (أو كييسا على ما يلفظ) إلى إلمامه السريع، بعد تعيينه مفوضًا أمينًا عامًّا للدولة فى صقلية، وغداة نجاحه فى قمع الإرهاب الشعبوى والثورى، بتواطؤ جوليو أندريوتى، رئيس وزراء إيطاليا سبع مرات، ووجه الحزب الديموقراطى المسيحى فى صقلية طوال أربعة عقود، مع المافيا. وبلغ هذا التواطؤ، على زعم بوسكيتا مبلغ اضطلاع بعض القادة باغتيال رجال ضلعوا فى خطف آلدو مورو، رئيس الوزراء الإيطالى السابق، وزعيم جناح فى الحزب الديموقراطى المسيحى، كان يميل إلى الحلف مع الحزب الشيوعى الإيطالى، وقتله استجابة لاقتراح اندريوتى هذا. وكان هذا فى عام ١٩٧٦. ويزعم بوسكيتا أن تفويض ديلاكييزا شؤون الأمن بصقلية، فى ١٩٨٢، لم يكن إلا على سبيل تيسير اغتياله على يد المافيا. فتسدد المافيا دين عصابة «الألوية الحمراء»، الإرهابية

الشعبوية على أندريوتى، وهو من تدين له المافيا بحماية سابغة. وقد يحقق مزاعم بوسكيتا هذه أن أبناء العم سالفو، إينياتسيو ونينو وليما، قتل اثنان منهما فى ١٩٩٢، عشية محاكمة أندريوتى، وقضى الثالث فى أثناء «المحاكمة العظيمة»، وهو ينسب إلى الثلاثة الوساطة بين السيد أندريوتى و«اللجنة» الوطنية.

فى الأثناء خرجت المافيا من صقلية، وانتشرت «أعمالها» فى الشمال، وارتقى إلى سدة السلطان فيها شبان لم «يحتلموا» دربة ودراية وتدبيرًا، واتفق ذلك مع اتساع سلطانهم ومراكمتهم الثراء الباهر من أهون السبل. فوسعهم شراء السياسيين والإداريين ورجال الأمن. وتصدعت المراتب وانهارت، وعم الخوف والارتياب. فساد «الزناد السهل» أو «الرخيص»، على قول الفرنسيين. فقتل عشرات القضاة والضباط فى أثناء العقد التاسع. وبإزاء تهديد الدولة ـ قضاءً وأمنًا ـ بالانهيار، قام قضاة وضباط جدد، وخلفوا المقتولين على التحقيق والملاحقة والمحاسبة، ولم تلبث الكنيسة الكاثوليكية أن انتفضت بدورها على «السكوت» الآمر، والمتسلط؛ فاجتمعت مقاومة الدولة ومقاومة المجتمع معًا. وخرج بعض القادة والعرابين عن صمتهم، ففتحوا ثغرة فى جدار المافيا وسريتها الحصينة. وكان بوسكيتا أولهم، وهو يعزو «انفصاله» و«خروجه» (فهو لا يرضى بصفة «النادم») إلى عشقه امرأة شابة، أرجنتينية من نسب إيطالى، اسمها كريستينا، وإلى رغبته فى تربية أولاده الخمسة بعيدًا عن الخوف المميت، ومن سلطة «اللجنة» وقهرها.

واصل المحققون فى مدينة «لوكرى» بإقليم «كالابريا» الجنوبى فى إيطاليا التحقيق مع خمسة أشخاص، بينهم امرأة، بعد توجيه تهم عدة لهم، أولها اختطاف رهينة، ومحاولة القتل والاعتداء على شخص، والتهديد بسلاح نارى، ورفضت أوساط المحققين الإفصاح عن أسماء الخمسة، وعن اسم الضحية، وجميعم من بلدة «افريكو نوفر» المعروفة بسيطرة عصابات «ندرانجيتا» أو مافيا «كالابريا» عليها.

وعلم من مصادر رسمية أن اثنين من الخمسة، أحدهما ابن لزعيم من المافيا ترمل قبل سنوات، ويفضل البقاء فى الجبال لتربية الماشية، والثانى وهو قريب له، هما المتهمان باختطاف المدعو ماركو، وعمره ٢٧ سنة والقيام بتعذيبه. وقام الخمسة أولاً بتقييد الضحية من يديه خلف ظهره ورجليه، ثم ضربه بالعصى إلى حد الإغماء، ثم أكملت حلقات التعذيب بتعليقه من قدميه على شجرة وتهديده بالموت.

وكان أحد المتهمين يضربه بوحشية ظاهرة، ويقول له: «أترك أبى الكهل وحاله أيها الساقط»، وكان يشير طبعًا إلى زعيم المافيا الأرمل. واتضح من وثائق النيابة أن «ماركو» شاذ جنسيًّا، وأنه من الجنس الثالث، وأنه تعرف زعيم المافيا الكهل ووقع فى غرامه؛ مما أثار النقمة على أوساط عصابات المافيا، التى لا تسمح بمثل هذه الأمور.

وبعد تهديد «ماركو» مرات عدة، لم يخضع ولم يتردد فى مواصلة علاقته الشاذة مع زعيم المافيا الكهل، وربما تصرف هكذا بسبب أوضاعه الخاصة، إذ ماتت أمه يوم ولادته وفقد أبوه صوابه بعد موت الأم، وأدخل إحدى المصحات العقلية. وتم تسليم ماركو فى أول أيام حياته إلى إحدى الجمعيات الخيرية لتربيته؛ فشب على الشذوذ الجنسى، ربما بسبب ظروفه الحياتية هذه. وكانت هذه الجريمة وقعت فى إبريل ١٩٩٧، وأعلنت مصادر النيابة عن اعتقال المتهمين فى إطار البحث عن متورطين آخرين مع الخمسة، ولكنها تكتمت عن أسماء الجميع، بمافى ذلك اسم ماركو، وهو اسم مستعار من ابتكار رجال الأمن. ولا تتساهل المافيا الإيطالية فى قضايا الجنس والشذوذ والخيانة الزوجية، وسبق أن سجلت الأحداث قيام أكثر من زعيم مافيا بقتل أخته، مثلاً، لانها كانت تخون زوجها مع آخر، أو أنهم قتلوا شاذين جنسيين فى حال اقترابهم من بناتهم الصبايا، وخوفًا من الزواج بهن. وتعاقب المافيا بالقتل كثيرًا من قضايا المخالفات الجنسية هذه، وتعمد إلى تعريف الناس بأسباب القتل، ولاسيما فى حال مساس أية امرأة من نساء المافيا بقطع الأعضاء التناسلية للقتيل.

ومن قواعد الالتزام الفولاذية فى المافيا مايلى: لا تخن زوجتك إطلاقًا، لاتطلق امرأتك مهما كانت الظروف، لا تقترب من الشاذين جنسيًّا، ولا تجنح للشذوذ الجنسى، ولا تناسب إطلاقًا أقارب رجال الشرطة والدرك والأمن بشكل عام، ولا تخطب نساءهم، ولا تعاكس زوجات ونساء رجال المافيا الآخرين، ولا تقذف إطلاقًا نساء رجال المافيا الآخرين، ولا تستغل الدعارة إطلاقًا وابتعد عنها، ولا تفاخر أمام الآخرين إن كانت لك خيانات زوجية، بل تكتم عليها.

ومعظم سكان افريكو نوفو هذه، كانوا على علم بالقصة، ولكنهم تكتموا عليها لأنهم، كجنوبيين، يفهمون المبررات التى دعت لتعذيب «ذلك الساقط»، وأهمها ضرورة المحافظة على «رجولة» عائلات المافيا، مهما كلف الثمن، ولا يمكن التساهل فى مثل هذه الأمور.

وتستمر التحقيقات فى هذه القرية الجنوبية فى الوقت، الذى بدأت فيه تحقيقات أخرى فى تورينو بأقصى الشمال الإيطالى، حين تم اكتشاف جثة لرجل فى الثلاثين من عمره، تم تقطيعه إربًا إربًا، وبشكل وحشى فى مخازن إحدى عمارات المدينة الصناعية، وقام القتلة بحرق أجزاء من الجثة، ومسح بصمات الأصابع بحامض الكبريتيك، وتعمدوا الإبقاء على الرأس دون تشويه، ولكنهم أيضًا قطعوا الأعضاء التناسلية للقتيل، وألقوا بها بعيدًا عن الأوصال.

* * *